

إشكالية التداخل اللغوي وأثره في شخصية الطالب الجامعي الجزائري

د. يوسف بن نافلة

جامعة حسيبة بن بوعلـي-الشلف (الجزائر)

الملخص :

تناول المدخلة مفهوم التداخل اللغوي باعتبار أنّ الألفاظ تهاجر وتنتقل مثلما يهاجر الناس، ويؤدي انتقالها وهجرتها إلى تداخلها، وتسرب ألفاظ لغة قوم في الأخرى، وأنّ اللغة كذلك تموت ميتة طبيعية، لكثرة الناطقين أو تباعد بيئاتهم، فيحدث بعدها التفاعل، والتصارع بين اللغات، مثلما يحدث في المجتمعات والأمم. بعدها أتناول موضوع التعدد اللغوي وتأثيراته على أفراد المجتمع، وعلاقاتهم فيما بينهم، وكذا التفرد اللغوي ونتائجه على المجتمعات البشرية، ثم أتحدث عن الازدواج اللغوي، وفي الأخير أركز على أثر التداخل اللغوي في شخصية الطالب الجامعي في الجزائر.

REESUME :

LE THEME DE CETTE RECHERCHE EST LA DEFINITION DE L'INTERFERENCE LINGUISTIQUE PUISQUE LES MOTS S'EMIGRENT ;ET SE DEPLACENT ;COMME LES ETRES HUMAINS ;CELA DONNE UNE RELATION ENTRE EUX ;AINSI DES MOTS DES GENS S'INFILTRES DANS DES MOTS D'AUTRE GENS ;AUSSI LA LANGUE MEURT NATURELEMENT ACAUSE DES PLUSIEURES GENS QUI LA PRONONCENT ;CELA CONDUIT A LA LUTTE ENTRE LES LANGUES COMME ENTRE LES PAYS ;PUIS JE PARLE DU TERME MULTILINGUISME ET SES INFLUENCES ENTRE LES PERSONNES DAND LA SOCIETE ;ET AUSSI LE TERME UNILINGUE ET SES CONSEQUENCES DANS LES SOCIETES HUMANITAIRES ;AINSI LE TERME BILINGUISME PUIS AU DERNIER JE DESCUTE LE SUJET DE L'INTERFERENCE ET SES TRACES SUR LA PERSONNALITE DE L'ETUDIANT UNIVERSITAIRE EN ALGERIE.

المقدمة :

من المتعارف عليه لدى معشر اللسانيين، وأهل الاختصاص أنّ التداخل اللغوي يقصد به استعمال المتكلم ثنائي اللغة، في اللغة الهدف (1) لسمة صوتية، أو صرفية، أو تركيبية، أو معجمية، تكون خاصة اللغة (2)، وأنّ التداخل اللغوي يظل في نظرهم فرديا لا جماعيا وغير

مقصود عكس مصطلح الاقتراض اللغوي الذي يدمج في اللغة .ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لتجيب عن الإشكالية الآتية :

ما مدى تأثير التعدّد اللغوي وانعكاساته على أفراد المجتمع؟، وما المراد من التفرد اللغوي وما أثره على العملية التعليمية؟، و إلى أيّ مدى يؤثّر التداخل اللغوي على هوية، وشخصية الطالب الجامعي الجزائري؟ وعلى أيّ مستوى يحدث هذا التداخل الذي يحدث عند المتكلم؟

مفهوم التداخل اللغوي :

أ- في اللغة: جاء في لسان العرب في باب (دخل) : "تداخل المفاصل ودخالها : دخول بعضها في بعض . وتداخل الأمور : تشابهما ، والتباسها ، ودخول بعضها ببعض ..."¹

ويعرّفه مجمع اللغة العربية في المعجم الوسيط : (ادّخل : دخل ، واجتهد في الدخول ، وتداخلت الأشياء : دخلت ، والأمور : التبتت ، وتشابحت ، ويقال تداخل فلانا منه شيء : خامره .

والدّخيل من دخل في قوم وانتسب إليهم وليس منهم ، والضّيف لدخوله على المضيف ، وكلّ كلمة أدخلت في كلام العرب وليست منه ، والفرس بين فرسين في الزّهان ، والمداخل الباطن ، والأجنبي الذي يدخل وطن غيره ليستغلّ ، دُخلاء : ويقال داء دخيل : دَخُلْ...²

ب- في الاصطلاح: يعرّف (لويس جان كالفي) LOUIS-JEAN. CALVET مصطلح التداخل بقوله : "يدلّ لفظ التداخل على تحويل اللبني ناتج عن إدخال عناصر أجنبية في مجالات اللغة الأكثر بناء ، مثل مجموع النظام الفونولوجي ، وجزء كبير من الصّرف ، والتراكيب ، وبعض مجالات المفردات (القرابة ، واللون ، والزّمن .. الخ.³

وجاء في (المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات) : "تداخل : هو استعمال متكلم ثنائي اللغة في اللغة الهدف (أ) لسمّة صوتية ، أو صرفية أو معجمية أو تركيبية تكون خاصة اللغة (ب) .."⁴

ويحدّد ج.هامرس و م.بلان ظاهرة مزج اللغات بقولهما: يتميز مزج اللغات بتحويل أو نقل عناصر تنتمي إلى لغة (ل.ي) إلى اللغة الأساس (ل.س) . ويمكننا أن نميز في صلب الملفوظ الممزوج العناصر اللغوية التي تنتمي إلى ل.س. والتي تتعاقب مع عناصر من (ل.ي) والتي تخضع لقواعد النظامين . وعلى عكس الاقتراض ، الذي يقتصر في الغالب على الوحدات الإفرادية ، فإن مزج اللغات يحوّل عناصر إلى وحدات تنتمي إلى جميع المستويات اللغوية وقد تمتد من الوحدة الإفرادية إلى غاية الجملة التامة ، بحيث يصعب علينا في المحصّلة التمييز بين التعاقب اللغوي والمزج اللغوي. والمزج اللغوي كالتعاقب اللغوي؛ استراتيجية يعمد إليها مزدوج اللغة في حين أنّ الاقتراض

ليس كذلك ولكن يمكن للناطقين الوحيدي اللغة ممارسته في الأوضاع التي تتسم باحتكاك اللغات
5

وحيث يكون الفرد إزاء لغتين يستعملهما بالتناوب، فيحصل أن تتمازجا في خطابه، وأن ينتج ملفوظات مزدوجة، ولا يتعلق الأمر ههنا بالتداخل، بل يتعلق بعملية تلصيق، وانتقال من نقطة من الخطاب بلغة إلى أخرى، وهو ما يدعى بمزج اللغات، أو التعاقب اللغوي في مجرى الجملة نفسها أو من جملة إلى أخرى.⁶

التفرّد اللّغوي: المقابل اللغوي المقابل العربي للفظ الأجنبي UNILINGUE وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة باستعمال أهل البلد أو البلدان للغة واحدة للتعبير بطلاقة، ويسر تامين عن تجاربهم العلمية والعملية والوجدانية في مختلف المجالات⁷

التفرّع اللّغوي: التفرّع اللّغوي حين DIGLOSSIE يُجعل في مقابل الازدواج اللغوي BILINGUISME، يكون دالاً على وضعية لسانية خاصة، تتميز بأن يتواجد في البلد الواحد لغة ما إلى جانب اللهجة أو اللهجات المنحدرة منها، بحيث تتسارع في أذهان المتكلمين للغة واللهجة المتفرعة عنها للفوز باستعمال أهل ذلك البلد لتبليغ أغراضهم والتعبير عن تجاربهم.⁸

الازدواج اللّغوي: لقد اعتاد اللسانيون أن يطلقوا الازدواج اللغوي BILINGUISME على وضعية لسانية تتميز بأن يتواجد في البلد الواحد لغتان من نمطين مختلفين كالعربية والاسبانية في شمال المغرب وجنوبه، والعربية والفرنسية في الوسط، وهما مع ذلك الاختلاف تستعملان بالطلاقة نفسها نسبياً للتعبير عن التجربة الشخصية للناطقين بتينكم اللغتين⁹

التعدّد اللّغوي: التعدّد اللّغوي المقابل للفظ الأجنبي MULTILINGUISME وهو يصدق على الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد، إما على سبيل التساوي إذا كان كانت جميعها لغات عاملة، كالألمانية، والفرنسية، والإيطالية في الجمهورية الفدرالية السويسرية وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عاملة كالعربية بجانب لغات عامية مثل الهوسا والغورمانشه، والسوناي زارما، والتماشيق، والفولفولدة، والتوبر في جمهورية النيجر¹⁰.

التعدّد اللّساني: يذكر عبد العليّ الودغيري في موضوع (التعدد اللساني: سياقه، وشروطه، وقضاياها) يذكر أنّ خوف المجتمعات الأوروبية الكبرى من سيطرة الإنجليزية أدّى بها إلى رفع شعار التعددية اللغوية إشفافاً على لغاتها، وحماية لها من التراجع والانهيار، وليس خوفاً على اللغات الضعيفة والصغيرة كما يشاع، إذ أصبح واضحاً أنّ المتضرر الأول من العولمة اللغوية الذي يعني

فرض الإنجليزية على العالم هو اللغات الكبرى المركزية والوطنية وخاصة في دول الشمال حيث يرتبط اسم الدولة باسم لغتها الرسمية في غالب الأحيان، أما اللغات الصغيرة فالعولمة تضمن لها مقعدها، ولا تستهدفها، ولا تهددها بالموت والانقراض لأنها لا تنافسها في شيء¹¹ ويذكر أيضا أنّ الدول الاستعمارية تلجأ إلى نشر إيديولوجية تُفنع بها هذه الشعوب المغلوبة على أمرها، ونخبها السياسية على الخصوص بأهمية التعددية اللسانية في حياة الأفراد، والدول، وتدفع بعلمائها ومنظريها من رجال السياسة، والترتبية، والبيداغوجية، واللغة، والاجتماع، وعلم النفس، إلى التبشير بفوائد التعدد ومزاياه، ومضار الأحادية اللسانية وسلباتها¹². ويبرز بعدها بعض مساوئ التعدد اللساني بالتأكيد على أنّ الزيادة المعرفية المكتسبة عن طريق التعدد اللساني، ولاسيما عند الإفراط فيه، غالبا ما تكون على حساب الكيف، ويكون الامتداد الأفقي والعددي على حساب العمق، وليس خافيا أن من المشاكل التي يعانيتها التعليم المتعدد اللغات في عصرنا هذا ما نشاهده من تدني مستوى التحصيل المعرفي لدى المتعلمين، لأنه غالبا ما يُعنى بتوسيع الكمّ ويكون أفقيا أكثر منه عموديا أي على حساب توسيع المدارك العلمية والمعرفية والتعمق في لغة من اللغات .

وأنّ الغالب في الشخص الذي يستعمل عددا من الألسنة أنه قد لا يتقن أيّ واحد منها إتقاناً جيّداً متعمّقا، أو على الأقل لا تكون معرفته باللغات التي يستعملها متساوية القيمة وهذا ما يجعلنا في التعليم المعاصر القائم على الثنائية والتعددية أمام وضع يتخرّج فيه التلميذ من المؤسسة التعليمية الثانوية، أو الجامعية وهو لا يتقن لغته الوطنية، ولا أية لغة أخرى إتقاناً جيدا. وفي هذه الحالة يحدث ما يطلق عليه كثير من الباحثين في تعليم اللغات اسم (انعدام الأمن اللغوي) الذي أسال حير كثير من الباحثين في السنوات الأخيرة¹³.

ثمّ يقدّم عبد العليّ الودغيري جملة من الملاحظات على التعدد اللساني أوجزها فيما يأتي :

1- التعدد لا يكون ناجحا إلاّ إذا كان متحكما فيه عن طريق قيود وشروط منها :

أن يتمّ تدبيره على الوجه الأحسن، والأكمل، والأفضل، والأليق، وأن لا يكون عل حساب اللغة الوطنية والرسمية والمشاركة للدولة، أو يؤدي إلى إضعافها، أو تهميشها، وإنما يجب أن يتمّ أن يتم تحت سيادتها وإشرافها ومن غير مزاحمتها أو التضيق عليها .

وأن لا يكون فيه تهديد للأمن والاستقرار المجتمعيّين، ولا يؤدي إلى تفتيت كيان المجتمع ، ولا يضرّ بوحدته، وأن لا يؤدي إلى تشظي الهوية الجماعية، وبسط هيمنة ثقافية ولغوية أجنبية تفضي

إلى إحداث شروخ داخل المجتمع، وأن لا يؤدي إلى تلوث أو هجنة لغوية تفقد الناس القدرة على التعبير بلغة صحيحة صافية منسجمة....

2- أنّ هناك علاقة لاحظها العلماء الباحثون والمختصون بين التعدد اللغوي والتخلف الاقتصادي والتنموي، فقد تنبهوا لوجود ظاهرة لافتة وهي أن الدول الأقلّ تعددا لغويا هي عادة ما تكون الأكثر تقدّما، وتنمية، وتحديثا، وثراء وقوة، والعكس بالعكس .

3- أنّ العالم رغم تقلّيعه التعددية التي ارتفعت موجتها في العقود الأخيرة، ومتمّجه -لا محالة - لأسباب كثيرة نحو التقلّيب من عدد اللغات، والدليل هو النسبة المرتفعة لعدد اللغات الصغيرة التي تنقرض وتختفي كلّ يوم مما أثار الرعب في نفوس الكثيرين، فأبجّهوا للدعوة إلى المحافظة على لغات الأقليات، واللغات الإقليمية، والمحلية باعتبارها تراثا إنسانيا .

4- أنّ هناك ازدواجية في الخطاب تمارسها بعض الدول الكبرى التي نراها متحمسة للتعدد اللغوي حين تتحدّث للآخرين فتراها حريصة على توجيههم وإسداء النصح لهم بل وممارسة ضغوطها عليهم، حتى يسلكوا طريق التعدّد اللساني، قصد المحافظة على مصالحها وتثبيتا لمكانة لغتها وثقافتها .

5- أنّ التعدّد اللّغوي لا يعني بأية حال المساواة المطلقة بين اللغات المستعملة في مجتمع متعدّد .

6- أنّه بجانب كلّ المزايا التي يمكن التفكير فيها للتعددية اللسانية، هناك بعض المخاطر والمزالق بل الأخطار التي ينبغي التنبّه لها، ووضعتها في الحسبان حتى تكون رؤية الموضوع عامة، وشاملة ومتنبّرة بكل جوانبه وزواياه.¹⁴

التداخل اللّغوي: يذكر الأستاذ صالح بلعيد أنّ اللّغة قد تُغزى من لغة أخرى، حيث يكون الغزاة أكثر عددا من أهل اللغة المغزوة، وهذا كلّّه في إطار التفاعل بين المجتمعات والتصارع ومثله يحدث في اللغات . وأنّ هذا التداخل الذي يحدث عند متكلّم ما يكون على مستويات عدّة حيث يأخذ المستوى الصرّي والدلالي الحيز الأكبر نتيجة بعض المواقف التي تستدعي ذلك، وأنّ لغة المنشأ تأخذ النصيب الأوفر في فرض أنماطها، ودلالاتها على اللغة المغزوة أو الثانية، بل تكون عاداتها طاغية في أكثر من موقف، ويظهر هذا في لغة المترجم الذي يستعمل لغتين، فإننا نراه ينحاز إلى لغة نتيجة صمود العادات اللغوية في اللغة الأولى، وهي لغة المنشأ التي أخذت في المدرسة. واستدلّ بقول أبي عمرو بن بحر الجاحظ: أنّه متى وجدناه تكلم بلسانيين علمنا أنّه قد أدخل الضيّم عليهما، لأنّ كلّ واحدة من اللغتين تجذب الأخرى، وتأخذ منها، وتعترض عليها، وكيف

يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعين فيه ،كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة ،وإنّما له قوّة واحدة ،فإن تكلم بلغة واحدة استُفِرغت تلك القوة عليها¹⁵

ويخلص الدكتور صالح بلعيد إلى القول بأنّ مصطلح التداخل في عمومه يشير إلى الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف ،وقد تكون للبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل فعالية أكثر في تولّد توجهه سلبي ،أو إيجابي تجاه لغة ما أكثر من الأخرى ،وهذا يظهر أثر اللغة الأجنبية في اللغة القومية .¹⁶

ويحدث التداخل اللغوي على كثير من المستويات :الفونولوجي ،والصرفي ، والمفرداتي ، والتركيبية ،والدلالي ،الحركي والثقافي حسب رأي محمد الخولي¹⁷

ويحدث التداخل على كثير من المستويات وذلك راجع للأسباب الآتية :

-طبيعة المهمة اللغوية .

-ضغط الاستعمال المبكر .

-ضعف الرقيب .

-إتقان اللغة 1، واللغة 2

-مكانة اللغة .

-محدودية التعرض .

-الموقف من اللغة 2.¹⁸

والتداخل هو تدخل في اتجاه واحد ،كأن تتدخل اللغة الأولى في اللغة الثانية ،فقط ،أو تتدخل اللغة الثانية في اللغة الأولى (اتجاه واحد) ،وليس ثنائي المسار ،وهذا يحصل في المناطق التي تشتهر عادة بالثنائية اللغوية ،لا بالازدواجية لأن هذه الأخيرة تستدعي التحكّم في لغتين على الوتيرة نفسها ،ويكون هنا التداخل من المنشأ فقط ،أو من اللغة الثانية تجاه لغة المنشأ .

الاقتراض والتدخل : فالإقتراض هو توظيف كلمة أو كلمات أو عبارات من لغة ما لأي لغة أخرى ،مثلا نقترض الآن المصطلحات العصرية ،أما الفرق بينه وبين التدخل فتتمثل في الآتي :

1-التدخل لاشعوري ،والإقتراض شعوري .

2-التدخل فردي ،والإقتراض فردي وجماعي .

3-التدخل يتمّ في جميع المستويات اللغوية ،والإقتراض لا يتمّ إلا في مستوى المفردات فقط .

4-التدخّل يحدث في حالة معرفة الفرد للغتين، والافتراض قد يحدث والفرد لا يعرف إلا لغة واحدة، فكثير من الناس يستخدم مفردات مقترضة من خارج لغته دون أن يعرف سوى لغة واحدة .

5-التدخّل عملية لغوية نفسية، أما الافتراض فهو عملية لغوية اجتماعية .¹⁹
التدخّل والتحوّل: حين يتحدّث فرد ثنائي اللغة قد يتحوّل أثناء إنتاج الكلام من اللغة 1، إلى اللغة 2، أو العكس . وهو عملية واعية لها أهدافها النفسية ، والاجتماعية ، والاتصالية ، وغالبا ما يكون المستعمل للتحوّل بارعا لغويا . وهذه البراعة ليست مقصورة على ثنائي اللغة ، بل نجدها تظهر في التحوّل الذي يحدثه المستعمل للهجة ، ثم يتحول إلى لهجة أخرى ، أو عندما يتحوّل المتحدث بالعربية الفصحى إلى الدارجة .²⁰

ومن أسبابه :

-البحث عن الدقة ، أو التأثير في المتلقي .

-الإفهام أو الحاجة .

-الاقتباس .

-انفعال معيّن .

-الاتّصال الجيّد .

-إرسال إشارة خاصّة ، أو استعمال السرية .

-الاقتراب من المستقبل أو تحديد المخاطب .

-الرسمية .

-الإبعاد (وضع الحواجز) أو الإقصاء ، أو توسيع المسافة الاجتماعية .

-مناسبة الموضوع (الحديث حسب المقام والحاجة)

التدخّل والتحوّل عمليتان متّفقتان في بعض الأوجه ، بل إنّ التحوّل نتيجة للتدخّل لكنّهما

يختلفان في كثير النقاط منها :

التحوّل

التدخّل

-له هدف لأنه شعوري .

-لا هدف له لأنّه لاشعوري .

-مرغوب فيه .

-غير مرغوب فيه .

-يكون على مستوى المفردات .

-يحدث على جميع المستويات .

(وعلى مستوى الجمل الطويلة .)

(الصوتية ، النحوية ، المفرداتية ، الدلالية)

- المتلقي ليس شرطاً أن يكون ثنائي اللغة . -المتلقي يكون ثنائي اللغة .
-دقيق صعب اكتشافه. -ظاهر لأنه مقصود .
-لا يستدعي أن يعرف المستمع لغتين . -يستدعي وجود متكلم يعرف ل1، ول2
بل المتكلم فقط. ومستمع يعرف ل1، ول2 أيضا.
-يحدث في الكتابة -يستدعي وجود متكلم ومستمع.²¹
- التدخل والانتقال: الانتقال أوسع من التدخل، حيث يختص باللغات في حين أنّ الانتقال يختص بجميع أنواع التعلّم، ومثال ذلك معلّم تلقى منهجية في تعليم اللغة العربية فإنه اكتسب عادات سيتلقاها أثناء تعليمه للغة أخرى يتقنها إلى المتعلمين وهذا ما يسهل له التعليم الجيد .
ويحصل النقل عادة مع التصرف في المعنى أو المبنى وينقسم إلى:
أ-نقل بتحويل: والذي هو عملية التعبير الإبداعي، و الضروري عن معنى بهدف إعادة التوازن البلاغي الذي يخلّ بفعل الترجمة، وذلك عند الانتقال من لغة إلى أخرى.
ب-نقل بتعريب أو بأخذ: وهو نقل المعارف إلى اللغة العربية في حقل من حقول العلم وتطويرها له، استناداً إلى مؤلفات أجنبية في الموضوع دون التقيّد بنصّ معيّن.²²
- التداخل اللغوي وأثره في شخصية الطالب في الجامعة الجزائرية : إنّ التداخل اللغوي في اعتقادي يؤثر تأثيراً بالغاً في العملية التعليمية وكذا في تكوين شخصية الطالب الجامعي الجزائري، وتحصيله العلمي .
ومن أهم محاسن تعليم اللغات الأجنبية ما يأتي :
-تعليم اللغات الأجنبية وتعلّمها فعل حضاري يكتسي كبرية في عصر الانفجار المعرفي والأنترنيت .
-تعليم اللغات الأجنبية يُمكن الأبناء من الاطلاع على العلوم والمعارف التي تزخر بها دول العالم المحيطة بنا، ولاسيما المتقدّمة منها.
-لتعليم اللغات الأجنبية فوائد اقتصادية، إذ في ظلّ الاقتصاد العالمي ليس من سبيل أمام المدرسة والجامعة إلاّ الاستجابة لضرورة تعليم هذه اللغات بهدف نقل تجارب الدول في الميدان الاقتصادي، وفتح الأبواب للاستثمار ممّا يسهم في تقدّم المجتمع، ورفاهيته .
-تعليم اللغات الأجنبية أداة للانفتاح على العالم الخارجي، ووسيلة لتعزيز التواصل بين الأمم، ولتبادل العلم والمعرفة ووسيلة أيضاً لإزالة حواجز الزمان والمكان بين مختلف الشعوب والثقافات .

-تعلم اللغات هو السبيل الأمثل لتوسيع مدارك الفرد وإثراء تجاربه ،حيث لا ينبغي أن تنحصر معارفه باللغة العربية فقط.

-تعليم اللغات الأجنبية لا يعني أنّها تحل محل لغتنا العربية ،أو أن نتخلى عنها ،بل إنّ تعليم هذه اللغات اليوم هو مطلب تربوي عولمي لكلّ متعلّم ،أو طالب ،أو باحث .

-من متطلّبات مستقبل التعليم في عصر العولمة هي الاهتمام باللغات بدءاً باللغة القومية (اللغة الأمّ) ثم اللغات الأجنبية (لغة الأمة) خاصة منها اللغة الإنجليزية ،ثم تليها اللغات الأخرى كونها المسيطرة على التحرك العلمي والتكنولوجي.

-من الخطأ أن نحون من شأن هذه اللغات ،أو أن ندعو إلى مقاطعتها ،أو ازديادها إحصائياً للغة العربية لأنّها لغة ديننا الحنيف بل علينا أن ننظر إلى اللغات الأجنبية بوصفها أداة أساسية نسعى من تعليمها إلى تحقيق ما هو أنفع للفرد خاصة ،والمجتمع عامّة ،وأن نخطّط لتعليمها من باب أنّ لذلك أثراً في خدمة لغتنا ،إذ كلما تعلّم أبناؤنا لغة أجنبية كلما فُسح المجال للترجمة ،ونقل المعارف إلى العربية وإثرائها .²³

وحقيقة الأمر أنّ الازدواجية اللغوية لم تكن عاملاً من عوامل الضعف اللغوي، وقد يكون لها بعض التأثير في ما يحدث على مستوى عدم الاستعمال السليقي ،لكن إتقان اللغة يؤدي إلى الاستعمال المعياري ،والذي يعمل على الترقية اللغوية ،و مسألة الازدواجية لا تعالج إلاّ بخطة تربوية ،حيث تنزل اللغة العربية منزلتها من مقام اللغات الأخرى ،ومقام اللغات الأجنبية ،وهذا يستدعي من التربويين والباحثين تقديم دراسات تربوية حول مقام العربية كلغة رسمية ،ومقام اللغات الأجنبية ،وحقّ كلّ لغة في الاستعمال ،وفي المحيط ،وفي الإعلام ،وهذا ما يسمى بالتخطيط التربوي ،حيث تنزل كلّ لغة المنزلة الموضوعية لها ،ويأتي القرار السياسي يوضع في الاعتبار ذلك التخطيط وهذا ما يسمى بتخطيط السياسة اللغوية .ومشكلة الازدواجية لم تحصل إلاّ في محيطنا العربي²⁴

وقد اظهرت الدراسات الميدانية أنّ هناك عدة عوامل تعمل على التأثير في عملية تعلم اللغة الأولى والثانية ومنها :

- القلق .
- الأمان .
- التفاعل الاجتماعي والتواصل .
- النقل والتداخل .

أما فيما يتعلق بأثر الازدواجية والثنائية اللغوية في الضعف اللغوي وشخصية الطلبة الجامعيين الجزائريين فإن الباحث الدكتور صالح بلعيد يقسم الوضع اللغوي في الجزائر كما يأتي :

1- اللغات ذات الانتشار الواسع: العاميات أو الدارجات العربية .

2- اللغات الكلاسيكية: العربية الفصيحة واللغة الفرنسية.

3- اللغات المحلية: الأمازيغية بمختلف تآدياتها، ولهجاتها.²⁶

ويرى صالح بلعيد أن اللغة العربية كانت لغة التدريس بالنسبة للمستويات الثلاث: الابتدائي والمتوسط، والثانوي، بينما يقتصر تدريسها في الجامعات على طلبة الشعب الأدبية ويمثل القطب الجامعي بمنطقة تيزي وزو قطبا يجمع الطلبة في مختلف التخصصات، ثم إنهم يختلفون في اللهجات، فمنهم الناطق باللغة العامية، وأكثرهم ناطقين باللغة الأمازيغية بحكم القرب الجغرافي لهذا القطب، وفيما يتعلق باللغة المستعملة لتدريس هذه التخصصات العلمية والتقنية منها، سنجد أنها تدرّس باللغة الفرنسية غير قسم اللغة العربية وآدابها الذي يدرّس فيه اللغة العربية وعلومها، إلا أن الإشكال المطروح في نظره هو هل حقًا طلبة اللغة العربية التي يمارسها أساتذة قسم اللغة العربية تمثل عربية فصيحة خالية من شوائب العامية، والألفاظ المفرنسة؟ وهل حقًا طلبة القسم الذين يقضون مدة أربع سنوات في تحصيلها، ثم الحصول على شهادات في آخر السنة يتخرّجون وهم مسلحون بمملكة لغوية تعبّر عن أفكارهم، ومعارفهم بكلّ طلاقة ودون إحداث أخطاء إعرابية؟

ولاحظ من خلال دراسته في هذا القسم وانطلاقا من الملاحظات، والاحتكاك اللغوي مع الطلبة، والأساتذة تخرّج دفعات من الطلبة دون ملاحظة ارتقاء لغوي يهم، إذ أنّ طالب هذه الشعبة يتخرّج من الجامعة ولا يستطيع كتابة جملة سليمة المعنى والمبنى، أو حتى أن يعبّر عنها دون إحداث أخطاء شفوية ماعدا قلة من الطلبة النجباء المتفوقين و المتميّزين عن غيرهم بقدراتهم اللغوية، وهذا ما لاحظته على طلبة السنة الرابعة للسنة الجامعية 2007-2008م، بقسم اللغة العربية بجامعة تيزي وزو، حيث لا تنفك الثنائية اللغوية تبارح أفواههم أثناء المشافهة اللغوية مع الأساتذة، ثم يعرض مثالا منتشرا بين أفواه الطلبة وهو جزء من الأمثلة الكثيرة .

ثم يخلص بالقول إلى أنّ ظاهرتي الازدواجية، والثنائية اللغوية لهما الأثر في تدني مستوى الطلبة في اللغة العربية وضعفهم في التحصيل، والاستيعاب وفي القراءة، والكتابة، والمشافهة وفي الوقت الذي يسعى فيه الباحثون إلى إيراد المشاكل التي تعاني منها العربية، وإلى محاولة ترفيتها وإيجاد الحلول لها، والدعوة إلى تعميمها في قطاع التعليم العالي نقف أمام أصحاب السلطة والقرار

وهذا ما يجعله يطرح السؤال الآتي: من المسؤول على طغيان استعمال العامية والفرنسية على حساب العربية الفصيحة عند طلبة قسم اللغة العربية؟ ويرى أنّ الأسرة هي النموذج الأول الذي استقى منه هؤلاء لمثل هذه اللغات، ثم يليه المجتمع بكلّ ما يحويه، وغيرها من العوامل التي تساهم في تدني المستوى اللغوي عند الطلبة.²⁷

إنّ إتقان لغة أجنبية أمر واجب، ولا بدّ منه لمتابعة التقدّم العلمي ولكن شتان ما بين إتقان اللغة الأجنبية وبين استخدامها بديلا عن اللغة الأمّ، وفي إتقان اللغة الأجنبية دعما للثقافة ورفدا لها في كلّ ميدان من ميادين العلم، وأمّا استخدامها بديلا عنها فهذا عزل، ووأد للغة الأمّ.

ويقول مازن المبارك: "إنّنا نعتقد أنّ الواجب القومي اليوم يفرض علينا أن نعمل على تخريج الباحث العربي، والعالم العربي، وأن نعمل على أن يكون المتخرّج مالكا لقابلية التعلّم ووسيلة البحث وأسلوب التفكير. إنّ تعليمنا يجب أن يهدف إلى تخريج الشاب العربي الأصيل المدرك لذلك، الواعي لواقع أمّته، المؤهل بقابلية التطور المتّزن، وتعليمنا يجب أن يهدف إلى القضاء على التخلف المادي مع المحافظة على روح الأمة، وشخصيتها، وأصالتها، وتنمية الافتخار بالانتماء إليها، والاعتزاز بتراثها..."²⁸

الخاتمة :

وفي نهاية المطاف أعتقد أنّ التداخل اللغوي فعل حضاري أملتته التحوّلات التكنولوجية، والتطوّرات العصرية التي جعلت العالم قرية صغيرة يتأثر بكلّ اللغات، وعليه فإنّه يتطلّب منا دعم طرق تدريس اللّغة العربية، وضرورة مواكبتها لثقافة العصر ومتطلباته، مع الاهتمام بصورة خاصة بتطوير أساليب تدريس العربية في مناطق التداخل اللغوي في العالم العربي، وذلك ما يكسب اللغة صورة واضحة، دقيقة تؤهلها لأن تقف صامدة أمام تلك التحديات، والتأثيرات الأجنبية، ولا يعني هذا أنّها تقف صامدة أمام التأثير الوافد، بل تقف في وجه العادات اللغوية الجديدة التي تغيّر مسارها .

وعلى الطّالب الجامعي في الجزائر أن يحرص على إتقان اللّغات الأجنبية ويواكب التقدّم العلمي، وتكنولوجيات العصر الحديثة، حتى يزداد تمكّنا، وحصانة، وخبرة بما يجري من حوله، لكن ليس على حساب شخصيته المسلمة الجزائرية، وتكوينه الأصيل، ومبادئه السّامية، وثقافته الصّافية، ولغته الجميلة الرّاقية .

هوامش البحث:

- 1- ينظر لسان العرب لابن منظور . دار الحديث القاهرة ، 1423هـ ، 2003م ، 3/316.
- 2- ينظر المعجم الوسيط ، القاهرة ، دار الدعوة ، ماي 1972 ، الجزء الأول ص 318.
- 3- علم الاجتماع اللغوي ، لويس جان كالفني ، ترجمة: محمد يحياتين ، دار القصبية ، حيدرة الجزائر ، ص 27.
- ينظر المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (الإنجليزي ، فرنسي ، عربي) مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، المغرب ، ص 74.
- 5- ينظر الجزائريون والمسألة اللغوية ، د/خولة طالب الإبراهيمي ، ص 112.
- 6- ينظر علم الاجتماع اللغوي للويس جان كالفني ، ترجمة : محمد يحياتين ، ص 32.
- ينظر التعدد اللغوي انعكاساته على النسيج الاجتماعي ، محمد الأوراني ، منشورات كلية الآداب بالرباط
- 7- ، 2002، ص 9
- 8- المصدر السابق ص 10.
- 9- المصدر السابق ص 11.
- 10- المصدر السابق ص 11.
- 11- ينظر لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية ، عبد العلي الودغيري ، ص 66
- 12- يراجع المصدر السابق ص 69.
- 13- ينظر المصدر السابق ص 73.
- 14- ينظر المصدر السابق ص 73 وما بعدها .
- 15- كتاب الحيوان ، لأبي عمرو بن بحر الجاحظ ، طبعة القاهرة ، 2/443.
- 16- ينظر دروس في اللسانيات التطبيقية ، د/صالح بلعيد ، دار هومة ، بوزريعة الجزائر ، ص 124 وما بعدها .
- 17- ينظر الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية) محمد الخولي ، ط 1 ، السعودية ، جامعة الملك سعود ، 1988م ، ص 103.
- 18- ينظر دروس في اللسانيات التطبيقية ، صالح بلعيد ، ص 127.
- 19- الحياة مع لغتين (الثنائية اللغوية) محمد علي الخولي ، ط 1 ، السعودية ، جامعة الملك سعود ، 1988م ، ص 96،
- 20- ينظر دروس في اللسانيات التطبيقية ، د/صالح بلعيد ، ص 129.
- 21- ينظر المصدر السابق ص 129 و 130.
- 22- ينظر المصدر السابق ص 130.
- ينظر أهمية التخطيط اللغوي - اللغات ووظائفها - المجلس الأعلى للغة العربية ، منشورات المجلس 2012
- 23 ص 92.
- 24- ينظر في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى ... د/صالح بلعيد ، دار هومة ، الجزائر 2008م ، ص 151.
- 25- ينظر علم اللغة النفسي ، د/صالح بلعيد ص 154.
- 26- ينظر ضعف اللغة العربية في الجامعات الجزائرية - جامعة تيزي وزو نموذجاً - دار هومة ، بوزريعة ، ص 49.
- 27- ينظر المصدر السابق ص 49 وما بعدها .

²⁸ -اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي، الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، مؤسسة الرسالة ص20.